بيعة العقبة الأولى إلى المدينة المنورة كي يقرئهم القرآن ، ويعلمهم الإسلام ، ويفقّههم في الدين ، فكان يسمى المقرئ بالمدينة[1] .

كما ألّف الله سبحانه وتعالى بين قلوب الأنصار وقد جاء في معرض التنبيه إلى هذه النعمة الكبرى قوله تعالى[2] : ﴿ واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتهم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها . كذلك يبيّن الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ وفي الصحيحين أن رسول الله ﷺ لما خطب الأنصار في شأن غنائم حنين قال لهم : يا معشر الأنصار ، ألم أجدكم ضلّالاً فهداكم الله بي ، وعالةً فأغناكم الله بي ، وكنتم متفرقين فألّفكم الله بي . كلما قال شيئاً قالوا : الله ورسوله أمنّ . ولهذا قال تعالى : ولكنَّ الله ألّف بينهم إنه عزيز حكيم[3] .

وإن الآية الكريمة الأخرى تقرر أن المصطفى ﷺ لو أنفق ما في الأرض جميعاً ما ألف بين قلوب المهاجرين والأنصار ، ولكن الله سبحانه وتعالى ألّف بينهم فأصبحوا بنعمته جل وعلا إخواناً . إنه جل وعلا هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾

أشارت الآية الكريمة قبل السابقة إلى أن الله سبحانه وتعالى قد أيّد حبيبه المصطفى ﷺ بنصره جل وعلا وبالمؤمنين . هذا إلى النص بأن الله سبحانه وتعالى حسبه عليه الصلاة والسلام وكافيه . قال تعالى : ﴿ وإن يريدوا أن يخدعوك فإن حسبك الله . هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ وإن الآية الكريمة التي نحن بصددها تؤكد منطوق الآية الكريمة قبل السابقة وتوضّح مفهومها وتبينه . أما المنطوق فهو المتعلق بالقول : ﴿ فإن حسبك الله ﴾ فقد جاء هنا القول : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ﴾ وأما المفهوم فقد جاء هنالك القول : ﴿ هو الذي أيّدك بنصره وبالمؤمنين ﴾ والتّأييد بالنصر تبيين للقول : ﴿ فإن حسبك الله ﴾ أما التأييد بالمؤمنين فإنه معنًى إضافي وجديد . وإن الآية الكريمة التي نحن بصددها توضّح مفهوم التأييد بالمؤمنين وتبينه بعد تأكيد التأييد بالنصر من الله تعالى وتبين أن رب العزة كافي

---

(١) انظر السيرة النبوية لابن هشام ٤٣٤/١ (حلبي) .

(٢) سورة آل عمران ١٠٣ .

(٣) تفسير ابن كثير ٣٢٣/٢ .

المصطفى ﷺ وحسبه . قال تعالى : ﴿ يا أيها النبي حسبك الله ومن اتَّبعك من المؤمنين ﴾ والمعنى يا أيها النبي حسبك الله تعالى وحسبك من اتبعك من المؤمنين الذين ألَّف الله تعالى بين قلوبهم(١) أي وحسبك المهاجرون والأنصار . وقيل : المعنى : كافيك الله وكافي من تبعك . قاله الشعبي وابن زيد . والأول عن الحسن . واختاره النَّحَّاس وغيره(٢) .

ونحن نميل إلى الرأي الأول .

ومما يلفت النظر في الآية الكريمة نداء الرب الكريم للرسول العظيم في طريقة كريمة وذلك بوصفه بالنبوة ﴿ يا أيها النبي ﴾ والمعروف أن رب العزة يخاطب في القرآن الكريم وينادي كل رسله وعباده الصالحين بأسمائهم ابتداءً بآدم ونوح عليهما السلام وانتهاءً بموسى وعيسى عليهما السلام . أما محمد بن عبد الله ﷺ فإن رب العزة يناديه في القرآن الكريم وحده عليه الصلاة والسلام بأكبر نعمتين من الله تعالى عليه وهما نعمتا النبوة والرسالة فلا يخاطب عليه الصلاة والسلام ولا ينادي إلا بالقول ﴿ يا أيها النبي ﴾ و ﴿ يا أيها الرسول ﴾ .

واللطيف في الأمر أن النداء ذاته يتكرر في الآية الكريمة التالية .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى ٱلْقِتَالِ ۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلْـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّا۟ئَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِا۟ئَتَيْنِ ۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾

يا أيها النبي حرض المؤمنين على القتال : حثّ متبعيك ومصدّقيك على ما جئتهم به من الحق على قتال من أدبر وتولّى عن الحق من المشركين(٣) .

---

(١) انظر هنا تفسير القرطبي ٢٨٨٢ والجلالين وتفسير الطبري ٢٦/١٠ وتفسير ابن كثير ٣٢٤/٢ والجدول في إعراب القرآن وصرفه ٣٢٣/٥ وتفسير ابن عطية ٣٦٨/٦ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٨٨٢ .

(٣) تفسير الطبري ٢٧/١٠ .

إن أول ما يصادف المتدبر للآيتين الكريمتين من مظاهر إعجاز القرآن الكريم هذه الأرقام التي تجمع بين عذوبة النطق ولطف الوقع وإرضاء العقل وإشباع النفس . إننا بصدد التوزيع اللطيف ، والتنويع البديع ، واللفظ الظريف ، والمعنى الصائب .

انظر إلى الرقم « عشرون » الذي ينسجم صوتاً وشكلاً ومعنًى مع الرقم مائتين : ﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين ﴾ ما أسهل إدراك أن المائتين حاصل ضرب عشرين في عشرة . وحينما يختار الواحد منا أي لفظ آخر من ألفاظ العقود أو سواها ويضرب ذلك الرقم في عشرة يتأكد له الفرق الواسع بين التعبيرين والبون الشاسع بينهما . وكي يتبين شيء من إعجاز هذه الأرقام نشير إلى أن الرقم « عشرون » المختار قد تولد من ضربه في عشرة رقم مائتين . فإذا نظرنا إلى الأرقام وراء العشرين التي تعني العشرة مرتين تبيَّنَّا أن الرقم « مائتين » جاء مرتين ، وأن الرقم « مائة » جاء مرتين ، وأن الرقم « ألف » جاء مرتين ، وتبينا أن الرقم « عشرون » إذا كان قد جاء ابتداءً فإن الرقم « ألفين » جاء انتهاءً . وليس بخاف التشابه النسبي شكلاً ومعنًى بين الرقمين .

ووراء عذوبة النطق سهولة إدراك المعاني البعيدة والمرامي القصيَّة . ما أسهل إدراك أن المائتين والألف حاصل ضرب العشرين والمائة في عشرة على التوالي في الآية الكريمة الأولى . وما أسهل إدراك أن المائتين والألفين حاصل ضرب المائة والألف في اثنين على التوالي في الآية الكريمة الثانية .

ومن البين تدرج الأرقام من العشرات إلى المئات إلى الألوف .

ومن البين حسن توزيع الصبر في الآيتين الكريمتين وجمال وقعه . إن الصبر يجيء في الآية الكريمة الأولى مع العشرين . ويجيء في الآية الكريمة الثانية مع المائة . ويجيء أخيراً في التذييل : ﴿ والله مع الصابرين ﴾ .

ما أجمل ذكر الصبر وما أروع الحذف .

لقد جاء في الآية الكريمة الأولى مع أمر المصطفى ﷺ أن يحثّ المؤمنين على القتال ما يتمشى مع هذا الحث ، ومع قوة الإيمان ، ومع جميل الصبر ، ومع عدم فقه الكافرين .

بينما جاء في الآية الكريمة الأخرى التخفيف من الله تعالى مع الضعف الذي تبين ، هذا بالإضافة إلى كثرة المسلمين التي استجدت .

لقد كان المطلوب أولاً من المؤمن المجاهد في سبيل الله تعالى أن يثبت أمام العشرة ، ويعده الله تعالى بنصره عليهم .

ثم كان المطلوب آخراً من المؤمن المجاهد في سبيل الله تعالى أن يثبت أمام الاثنين ، ويعده الله تعالى بنصره عليهما .

وفي كل الأحوال الصبر مطلوب . إن الله سبحانه وتعالى مع الصابرين .

وقد فُهِمَ من التخفيف أن عدد المسلمين حينما يكون أقل من نصف عدد الكافرين من حقهم ألا يقاتلوا . أما إذا كان عدد الكافرين مثلي عدد المسلمين فليس من حق المسلمين ألا يقاتلوا .

﴿ قَتْلُ أسرى بدرٍ أَوْلَى ، وإحلال الغنائم والفداء
وثواب الأوفياء ، وعذاب الخائنين ﴾
الآيات (٦٧ ــ ٧١)

مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْءَاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٦٨﴾ فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٩﴾

ما كان لنبي أن يكون له أسرى : الأسر في كلام العرب الحبس . يقال منه : مأسور يراد به محبوس[1] والأسر الشدّ بالقيد . وسمي الأسير بذلك . ثم قيل لكل مأخوذٍ ومقيّدٍ وإن لم يكن مشدوداً ذلك . وقيل في جمعه أَساري وأُساري وأَسْرى[2] .

حتى يثخن في الأرض : حتى يبالغ في قتل المشركين فيها ويقهرهم غلبةً وقسراً . يقال منه : أثخن فلانٌ في هذا الأمر إذا بالغ فيه[3] ويقال : ثَخُن الشيء فهو ثخين إذا غَلُظ فلم يَسِلْ ولم يستمر في ذهابه[4] وذلك أن الثاء والخاء والنون يدلّ على رزانة الشيء في ثِقل . تقول : ثَخُن الشيء ثَخَانةً . والرجل الحليم الرَّزين ثخين . والثوب المكتنز اللُّحمة والسَّدي من جَوْدة نسجه ثخين . وقد أثخنتُه أي أثقلته . قال الله تعالى : حتى يثخن في الأرض . ذلك أن القتيل قد أُثْقِل حتى لا حَراك به[5] .

تريدون عرض الدنيا : تريدون حطامها بأخذ الفداء[6] وما عرض للمرء منها من مالٍ ومتاع[7] .

والله يريد الآخرة : أي ثوابها بقتلهم[8] .

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٣٠ .
(٢) مفردات الراغب الأصفهاني « أسر » ١٧ .
(٣) تفسير الطبري ١٠/٣٠ .
(٤) مفردات الراغب الأصفهاني « ثخن » ٧٩ .
(٥) معجم مقاييس اللغة « ثخن » ١/٣٧٢ .
(٦) الجلالين .
(٧) تفسير الطبري ١٠/٣٠ .
(٨) الجلالين .

لولا كتاب من الله سبق : لولا قضاءٌ من الله سبق لكم أهل بدر في اللوح المحفوظ بأن الله محلٌّ لكم الغنيمة وأن الله قضى فيما قضى أنه لا يضل قوماً بعد إذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون ، وأنه لا يعذب أحداً شهد المشهد الذي شهدتموه ببدر مع رسول الله ﷺ ناصراً دين الله ، لنا لكم من الله ، بأخذكم الغنيمة والفداء ، عذابٌ عظيم(٤) .

سبب النزول :

روى الإمام أحمد والإمام مسلم عن عمر بن الخطاب قال : لما كان يوم بدر والتقوا ، فهزم الله المشركين وقُتِل منهم سبعون رجلاً وأسر منهم سبعون رجلاً ، استشار رسول الله ﷺ أبا بكر وعمر وعلياً ، فقال أبو بكر : يا نبي الله ، هؤلاء بنو العم والعشيرة والإخوان ، وإني أرى أن تأخذ منهم الفدية ، فيكون ما أخذنا منهم قوةً لنا على الكفار ، وعسى الله أن يهديهم للإسلام فيكونوا لنا عضداً . فقال رسول الله ﷺ : ما ترى يا ابن الخطّاب ؟ قال : قلت : والله ما أرى ما رأى أبو بكر . ولكن أرى أن تمكنني من فلان ـــ قريب لعمر ـــ فأضرب عنقه ، وتمكن علياً من عَقيل فيضرب عنقه ، وتمكن حمزة من فلان ـــ أخيه ـــ فيضرب عنقه ، حتى يعلم الله عز وجل أنه ليس في قلوبنا هوادة للمشركين ، هؤلاء صناديدهم وأئمتهم وقادتهم . فَهَوِي رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر ، ولم يهو ما قلت ، فأخذ منهم الفداء . فلما كان من الغد قال عمر : غدوت إلى النبي ﷺ فإذا هو قاعد وأبو بكر الصديق وإذا هما يبكيان ، فقلت : يا رسول الله ، أخبرني ماذا يبكيك أنت وصاحبك ؟ فإن وجدت بكاءً بكيت ، وإن لم أجد بكاءً تباكيت لبكائكما . فقال النبي ﷺ : أبكي للذي عرض عليَّ أصحابُك من الفداء ، لقد عُرِضَ عليَّ عذابكم أدنى من هذه الشجرة ـــ لشجرةٍ قريبة ـــ وأنزل الله عز وجل : ما كان لنبي أن يكون له أَسْرَى حتى يُثْخِن في الأرض . إلى قوله : لولا كتابٌ من الله سبق لمسّكم فيما أخذتم ، من الفداء ، عذاب عظيم(٢) .

في إمكاننا أن ننظر إلى الآيات الكريمات التي تتحدث عن حكم الإسلام في فجره في الأسرى من سورة الأنفال وأن ننظر إلى الآية الكريمة الرابعة من سورة محمد ﷺ التي تتحدث عن طريقه معاملة المسلمين للأسرى . قال تعالى : ﴿ فإذا لقيتم الذين كفروا فَضَرْبَ الرِّقاب

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٣٢ .

(٢) أسباب النزول للواحدي النيسابوري ٢٧٥ ، ٢٧٦ .

حتى إذا أثخنتموهم فشدوا الوثائق فإما مَنًّا بعد وإما فداءً حتى تضع الحرب أوزارها . ذلك ولو يشاء الله لانتصر منهم ولكن ليبلو بعضكم ببعض . والذين قُتِلوا في سبيل الله فلن يُضل أعمالهم ﴾ .

ومن البيِّن أن سورة الأنفال نزلت إثر غزوة بدر التي كانت يوم الجمعة السابع عشر من شهر رمضان المبارك في السنة الثانية من الهجرة ومن البيِّن كذلك أن سورة محمد ﷺ نزلت بعد غزوة بدر وقبل غزوة الأحزاب التي كانت في السنة الخامسة من الهجرة وفق الرأي الراجح(١) .

ومن البيِّن أن آيات سورة الأنفال تتحدث عن أخذ المصطفى ﷺ والمسلمين الفداء من الأسرى في غزوة بدر وتعاتب المصطفى ﷺ والمسلمين على أخذ الفداء وعلى عدم قتل الأسرى في هذه المعركة الحاسمة الأولى بين الإسلام والكفر . إن طبيعة هذه المرحلة المبكرة من تاريخ الإسلام تقتضي المبالغة في قتل المشركين في المعركة ، وبعد المعركة بقتل الأسرى ، كيلا تقوم للكفر قائمة . ومعنى الآيات الكريمات : ما كان لنبي أن يكون له أسرى من المشركين حتى يثخن في الأرض ، وحتى يبالغ في قتل المشركين في ميدان المعركة وبعدها فلا تكون لهم حركة وحتى يتدفق دمهم بغزارة ، وحتى يعود دمهم ثخيناً غليظاً لا يسيل ولا يستمر في ذهابه دليلاً على الإيغال في قتلهم وذهابهم كأمس الدابر لهوانهم على الله تعالى . والدليل على ذلك دماؤهم التي صارت غليظةً ثخينةً جامدة لا يؤبه لها ولا يهتم بأصحابها . وفي مجال العتاب تقول الآية الكريمة الأولى : إنكم أيها المؤمنون بأخذكم الفداء تريدون عرض الدنيا وتحرصون على حطامها والله سبحانه وتعالى يريد لكم ثواب الآخرة ونعيمها المقيم بقتل الأسرى الكافرين . والله سبحانه وتعالى هو العزيز في ملكه الحكيم في صنعه .

والآية الكريمة التالية تقرر أنه لولا كتاب من الله سبق وقضاء من الله مضى في اللوح المحفوظ بإحلال الغنائم لكم وإحلال أخذ الفداء من الأسرى لمسَّكم فيما أخذتم من الفداء عذاب عظيم . جاء في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : أُعطيت خمساً لم يعطهنَّ أحدٌ من الأنبياء قبلي . نُصِرْت بالرُّعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، وأحلَّت لي الغنائم ولم تحل لأحدٍ قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث إلى قومه وبعثت إلى الناس عامة . وقال الأعمش عن أبي صالح

---

(١) تأملات في سورة محمد ﷺ ١٧ وتأملات في سورة الأحزاب ٢١ للمؤلف .

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : لم تحلّ الغنائم لسود الرءوس غيرنا[1] فكان النبي ﷺ وأصحابه إذا غنموا الغنيمة جمعوها ونزلت نارٌ من السماء فأكلتها[2] .

والآية الكريمة الثالثة تأمر المسلمين أمر إباحة بأن يأكلوا مما غنموا حلالاً طيباً وبأن يتقوا الله . إن الله سبحانه وتعالى غفورٌ للذنوب ومنها أخذكم الفداء في وقت يتطلب قتل الأسرى رحيم حينما لم يؤاخذكم بذنبكم وحينما أرشدكم إلى معالم دينكم .

فإذا تحولنا إلى آية سورة محمد ﷺ التي نزلت بعد ذلك تبينا أنها الآية الكريمة الوحيدة في القرآن الكريم التي تبين حكم الإسلام في الأسرى[3] وقد نصت على حالتين من حالات أربع يعامَل وفقها الأسرى في الإسلام . أما هاتان الحالتان فهما الفُضْليان على التوالي ، المنّ دون فداء ، وأخذ الفداء من مال أو علم أو فكاك أسرى وما إلى ذلك . قال تعالى : ﴿ حتى إذا أثخنتموهم فشدّوا الوثائق فإما مَنًّا بَعْدُ وإمَّا فداءً حتى تضع الحرب أوزارها ﴾ وقد فعل المصطفى ﷺ كلًّا من هاتين الحالتين كما فعل حالتين أخريين هما قتل الأسرى واسترقاقهم .

وبناءً على ذلك فإن من حق إمام المسلمين أن يعامل أسرى الخصوم وفق معاملتهم أسرانا . إن منّوا على أسرانا منّا على أسراهم ، وإن أخذوا الفداء أخذنا ، وإن قتلوا أسرانا قتلنا ، وإن استرقّوا أسرانا استرققنا . يقول ابن كثير[4] : « وقد استمرّ الحكم في الأسرى عند جمهور العلماء أن الإمام مخيّرٌ فيهم ، إن شاء قَتَل كما فعل ببني قريظة ، وإن شاء فادى بمال كما فعل بأسرى بدر ، أو بمَنْ أُسِر من المسلمين كما فعل رسول الله ﷺ في تلك الجارية وابنتها اللتين كانتا في سبي سلمة بن الأكوع حيث ردّهما وأخذ في مقابلتهما من المسلمين الذين كانوا عند المشركين ، وإن شاء استرقّ من أسر . هذا مذهب الإمام الشافعي وطائفة من العلماء » .

وهكذا يتبين أن ما فعله المصطفى ﷺ والمسلمون من أخذ الفداء من أسرى بدر كان قد سبق في علمه عز وجل أنه سبيحه للمسلمين ، فبذلك نطق اللوح المحفوظ ، كما يتبين أن أخذ المسلمين الفداء من أسرى بدر كان الأفضل منه عند الله تعالى العليم الخبير أن يُقْتَلَ

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٢٦/٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٢٨٨٩ .

(٣) درسنا الآية الكريمة في كتابنا تأملات في سورة محمد ﷺ ٥٩ فما بعدها وفي دراسة عنوانها : معاملة الأسرى في الإسلام نشرت في العدد الرابع من رسالة المسجد السنة الرابعة .

(٤) تفسير ابن كثير ٣٢٦/٢ .

الأسْرى لأن طبيعة المرحلة المبكرة في فجر الإسلام تقتضي ذلك كيلا تقوم للكفر قائمة ، وكيلا ينهض الكفر من كبوته سريعاً كي يفعل في غزوة أحد بالمسلمين في السنة التالية ما فعل .

وبناءً على ما سبق نستطيع أن نقول ـــ والله تعالى أعلم ـــ إن عتاب الله تعالى في الآيات الكريمات للمصطفى ﷺ وللمؤمنين بسبب أخذ الفداء من أسرى بدر لأنهم تجاوزوا الفاضل في تلك المرحلة وهو قتل الأسرى كيلا تقوم للكفر قائمة إلى المفضول وهو أخذ الفداء . لقد عفا الله سبحانه وتعالى عن أهل بدر كل ذنبٍ لقول رسول الله ﷺ لعمر في أهل بدر : وما يدريك لعل الله اطّلع على أهل بدرٍ فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم . خرّجه مسلم[1] .

وإن الدليل على تجاوز الفاضل إلى المفضول هو أن آية سورة محمد ﷺ نصّت على أفضل الحالات الأربع التي عامل المصطفى ﷺ بها الأسرى . لقد نصت الآية الكريمة على المنّ أولاً فهو أفضل الحالات ، وعلى الفداء وهو أفضل الحالات الثلاث الباقيات . إن طبيعة الصراع بين الإسلام والكفر هي التي جعلت الأفضل والأَوْلَى في غزوة بدر قتل الأسرى فكان العتاب على أخذ الفداء . وإن قوة الإسلام المطّردة النماء بعد ذلك جعلت المصطفى ﷺ يختار واحدةً من الحالات الأربع التي يعامَل بها الأسرى في الإسلام ، مع تفضيل المنّ ثم الفداء كما بينت آية سورة محمد ﷺ .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴿٧٠﴾ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٧١﴾

سبب النزول :

جاء في صحيح البخاري من حديث موسى بن عقبة قال ابن شهاب : حدّثنا أنس ابن مالك أن رجالاً من الأنصار قالوا يا رسول الله : ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس

(١) تفسير القرطبي ٢٨٨٩ .

فداءه ، قال : لا والله لا تذرون منه درهماً . وقال يونس بن بكير عن محمد بن إسحاق عن يزيد بن رومان عن عروة عن الزّهري عن جماعة سماهم قالوا : بعثت قريش إلى رسول الله ﷺ في فداء أسراهم ففدى كل قوم أسيرهم بما رضوا . وقال العباس : يا رسول الله ، قد كنت مسلماً . فقال رسول الله ﷺ : الله أعلم بإسلامك ، فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك . وأما ظاهرك فقد كان علينا فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث بن عبد المطلب وعقيل بن أبي طالب بن عبد الله ، وحليفك عتبة بن عمرو أخي الحارث بن فهر . قال : ما ذاك عندي يا رسول الله ؟ قال : فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل ؟ قلت لها : إن أُصِبْتُ في سفري هذا فهذا المال الذي دفنته لبنيّ الفضل وعبد الله وقُثم . قال : والله يا رسول الله إني لأعلم إنك رسول الله . إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل . فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية[1] من مالٍ كان معي . فقال رسول الله ﷺ : لا ، ذاك شيءٌ أعطانا الله تعالى منك . ففدى نفسه وابني أخويه وحليفه فأنزل الله عز وجل : يا أيها النبي قل لمن في أيديكم من الأسرى إن يعلم الله في قلوبكم خيراً يؤتكم خيراً مما أخذ منكم ويغفر لكم . والله غفورٌ رحيم . قال العباس : فأعطاني الله مكان العشرين الأوقية في الإسلام عشرين عبداً كلهم في يده مال يضرب به ، مع ما أرجو من مغفرة الله عز وجل[2] عن ابن عباس قال : قال العباس : فيّ نزلت : ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض[3] . قال محمد بن إسحاق : وكان أكثر الأساري يوم بدر فداءً العباس بن عبد المطلب وذلك أنه كان رجلاً موسراً فافتدى نفسه بمائة أوقية ذهباً[4] وكان العباس أُسِرَ يوم بدر ومعه عشرون أوقية من الذهب ، كان خرج بها معه إلى بدر ليُطعم بها الناس ، وكان أحد العشرة الذين ضَمِنوا إطعام أهل بدر ، ولم يكن بلغته النَّوْبةُ حتى أسر فأُخِذَت معه وأخذها رسول الله ﷺ منه[5] .

تخاطب الآية الكريمة الأولى المصطفى ﷺ وتناديه بصفة النبوة وقد عرفنا أن هذه الطريقة في النداء والخطاب خاصة به عليه الصلاة والسلام من بين سائر النبيين الذين ينادون

---

(١) الأوقية بتشديد الياء وتخفيفها .
(٢) تفسير ابن كثير ٢/٣٢٧ وانظر أسباب النزول ٢٧٦ .
(٣) تفسير ابن كثير ٢/٣٢٧ وتفسير الطبري ١٠/٣٥ .
(٤) تفسير ابن كثير ٢/٣٢٧ .
(٥) أسباب النزول ٢٧٦ .

في القرآن الكريم بأسمائهم . وكما ينادى عليه الصلاة والسلام بصفة النبوة ينادى عليه الصلاة والسلام بصفة الرسالة فهو ﷺ خاتم النبيين وأشرف المرسلين . إن الآية الكريمة في ندائها للنبي ﷺ تأمره عليه الصلاة والسلام بأن يقول لمن في يده وأيدي المؤمنين من أسرى بدر الذين قالوا إنهم مؤمنون من قبل ولكنهم يكتمون إيمانهم : إن يعلم الله سبحانه وتعالى في قلوبكم خيراً وصحّة إسلام وصدق إيمان يؤتكم في المستقبل خيراً مما أُخذ منكم من الفداء والغنيمة وذلك على غرار العباس بن عبد المطلب عمّ المصطفى ﷺ الذي أُخِذ منه الغنيمة والفداء ، ويغفر لكم جل وعلا ذنوبكم لأن الإسلام يجبّ ما قبله فكأن شيئاً من الآثام بفضل الله تعالى ما كان . والله سبحانه وتعالى غفورٌ للذنوب ، رحيم بكم حينما لم يستأصل شأفتكم وحينما أرشدكم إلى معالم دينه الحنيف .

وإذا كانت الآية الكريمة تتحدث عن الفريق من الأساري الذين يُفْترض فيهم الخير والذين ثبت صدق إيمانهم مستقبلاً فإن الآية الكريمة الأخرى تتحدث عن الفريق الآخر من الأساري الذين يُفْتَرَض فيهم سوء النية وخبث الطوية والذين ثبت زيف إيمانهم[1] إن الآية الكريمة تقول : إن يرد ذلك الفريق الآخر من الأسرى السيء النية الخبيث الطوية خيانتك أيها الرسول الكريم والغدر أيها النبي العظيم فقد خانوا الله سبحانه وتعالى من قبل بكفرهم وقتالك في بدر فأمكن منهم وهزمهم شر هزيمة وأسرهم وأذلّ معاطسهم وسيكون مصيرهم كل مرة يخونون فيها الله تعالى ورسوله نفس المصير السيء والعاقبة الوخيمة . والله سبحانه وتعالى عليم لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء ، حكيم في قوله وفعله وقضائه وتدبيره وفي كل شيء لا رب غيره ولا معبود بحق سواه جل وعلا .

---

(١) انظر مثلاً تفسير الطبري ٣٦/١٠ .

« المؤمنون بعضهم أولياء بعض ، والكافرون بعضهم أولياء بعض ، وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث »

الآيات (٧٢ ــ ٧٥)

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ﴿٧٢﴾

والذين آووا ونصروا : والذين آووا رسول الله والمهاجرين معه ، يعني أنهم جعلوا لهم مأوى يأوون إليه وهو المثوى والمسكن يقول : أسكنوهم وجعلوا لهم من منازلهم مساكن إذ أخرجهم قومهم من منازلهم ، ونصروا : يقول : ونصروهم على أعدائهم وأعداء الله من المشركين(١) .

أولئك بعضهم أولياء بعض : بعضهم أنصار بعض وأعوان على من سواهم من المشركين ، وأيديهم واحدة على مَنْ كفر بالله ، وبعضهم إخوان لبعض دون أقربائهم الكفار . وقد قيل : إنما عنى بذلك أن بعضهم أولى بميراث بعض وأن الله ورَّث بعضهم من بعض بالهجرة والنُّصرة دون القرابة والأرحام ، وأن الله نسخ ذلك بَعْدُ بقوله : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله(٢) .

ما لكم من ولايتهم من شيء : قرأ يحيى بن وثَّاب والأعمش بن حمزة : « من ولايتهم » بكسر الواو . وقيل هي لغة . وقيل : هي من وليت الشيء ، يقال : ولِيٌّ بيِّن الوَلاية ، ووال بيِّن الوِلاية . والفتح في هذا بيِّن وأحسن ، لأنه بمعنى النُّصرة والنَّسب . وقد تطلق الوِلاية والوَلاية بمعنى الإمارة(٣) ويقول الطبري(٤) : « ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ، يقول ما لكم من ميراثهم من شيء ، وكانوا يعملون بذلك حتى أنزل الله هذه الآية : وأولو

---

(١) تفسير الطبري ١٠/٣٦ .
(٢) تفسير الطبري ١٠/٣٦ .
(٣) تفسير القرطبي ٢٨٩٥ وانظر تفسير ابن عطية ٦/٣٩٠ .
(٤) تفسير الطبري ١٠/٣٧ .

الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله ، في الميراث فنسخت التي قبلها وصار الميراث لذوي الأرحام » .

بينكم وبينهم ميثاق : أي مهادنة إلى مدة فلا تخفروا ذمَّتكم ولا تنقضوا أيمانكم مع الذين عاهدتم . وهذا مروي عن ابن عباس رضي الله عنه(١) .

تقرر الآية الكريمة أن الذين آمنوا بالله تعالى ربًّا ، وهاجروا في سبيل الله تعالى وانتقلوا من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام ، إلى المدينة المنورة ، وجاهدوا بأموالهم وكل ما يملكون وبأنفسهم وبذلوا أرواحهم رخيصة في سبيله جل وعلا ، وأن الذين آووا المهاجرين الذين هاجروا من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، والذين نصروا الله تعالى ونصروا رسوله ﷺ ، بعضهم أولياء بعض ، وأصدقاء بعض ، وإخوان بعض ، والمعروف أن المصطفى ﷺ آخى بعد الهجرة مباشرة بين المهاجرين والأنصار ، وكانت هذه المؤاخاة من العمق وقوة الأثر للدرجة التي يرث معها المهاجر الأنصاري والأنصاري المهاجر دون قرابته حتى نُسِخَ هذا الحكم . روى هشام بن عروة عن أبيه عن الزبير القول(٢) : « وذلك أنَّا معشر قريش لما قدمنا المدينة قدمنا ولا أموال لنا ، فوجدنا الأنصار نِعْمَ الإخوان فآخيناهم فأورثونا وأورثناهم . فآخى أبو بكر خارجة بن زيد ، وآخيت أنا كعب بن مالك ، فجئت فوجدت السلاح قد أثقله ، فوالله لقد(٣) مات عن الدنيا ما ورثه غيري ، حتى أنزل الله تعالى هذه الآية(٤) فرجعنا إلى موارثنا . وثبت عن عروة أن رسول الله ﷺ آخى بين الزبير وبين كعب بن مالك ، فارْتُثَّ(٥) كعب يوم أحد فجاء الزبير يقوده بزمام راحلته . فلو مات يومئذ كعبٌ عن الضِّحّ(٦) والريح لورثه الزبير ، فأنزل الله تعالى : وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله . فبين الله تعالى أن القرابة أولى من الحِلف ، فتركت الوراثة بالحِلْف وورثوا بالقرابة » .

وتقرر الآية الكريمة كذلك أن الذين آمنوا ولكنهم لم يهاجروا ما للمؤمنين من المهاجرين والأنصار من وَلايتهم ونُصْرتهم من شيء حتى يهاجروا في سبيل الله تعالى ويكون بالتالي لهم كل

---

(١) تفسير ابن كثير ٣٢٩/٢ .

(٢) تفسير القرطبي ٥٢٠٦ .

(٣) هكذا بالأصل ولعل الصواب « لو قد » .

(٤) المراد الآية الكريمة السادسة من سورة الأحزاب .

(٥) الارتثاث أن يُحْمَلَ الجريح من المعركة وهو ضعيف قد أثخنته الجراح .

(٦) الضِّح : بكسر الضاد : ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض . أراد لو مات عمَّا طلعت عليه الشمس وجرت عليه الريح ، وكنى بهما عن كثرة المال .

ما للمهاجرين من حقوق . وإذا طلب أولئك الذين لم يهاجروا النُّصرة من المؤمنين المهاجرين والأنصار فعليهم النصر إلا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد مؤكد وميثاق إلى مدة معينة ففي هذه الحال لا ينصرونهم على أولئك الذين بين المؤمنين وبينهم عهد مؤكد بيمين أو بسواه . وفي التذييل تقرر الآية الكريمة أن الله سبحانه وتعالى بصير بما يعمل الخلائق فمجازٍ كلًّا بناءً على نيَّته وقوله وعمله .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِى ٱلْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾

بيَّنت الآية الكريمة السابقة أن المؤمنين من مهاجرين وأنصار بعضهم أولياء بعض ويترتب على ذلك أن الله سبحانه وتعالى ولي المؤمنين بنص القرآن الكريم . وهذه الآية الكريمة تبين أن الذين كفروا بعضهم أولياء بعض لأن الكفر ملَّة واحدة . ويترتب على ذلك أن الشيطان الرجيم ولي الكافرين بنص القرآن الكريم كذلك . والآية الكريمة تخاطب في شقها الآخر الذين آمنوا وتحثهم على أن يكون بعضهم أولياء بعض حقاً وإخوان بعض صدقاً كي يكون الإيمان قوياً بسبب تراصّ أصحابه صفاً واحداً وإلا تغلَّب ــ لا سمح الله ــ الكفر على الإيمان والكفار على المؤمنين وكانت من الكافرين فتنة للمؤمنين عن دينهم وصد عن سبيل الله تعالى وبلاء عظيم في الأرض وفساد كبير . وكأن الآية الكريمة تأخذ بسبب من قوله تعالى[1] : ﴿ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض ولكنَّ الله ذو فضلٍ على العالمين ﴾ وقوله تعالى[2] : ﴿ ولولا دفع الله الناسَ بعضهم ببعض لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وصلواتٌ ومساجِدُ يُذْكَر فيها اسم الله كثيراً . ولينصرنَّ اللهُ من ينصره . إن الله لقويٌّ عزيز . الذين إن مَكَّنَّاهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور ﴾ .

---

(١) سورة البقرة ٢٥١ .

(٢) سورة الحج ٤٠ ، ٤١ .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾

تبين الآية الكريمة المؤمنين حقاً كما تعيِّن ثوابهم الجزيل . أما المؤمنون حقاً فإنهم الذين آمنوا بالله تعالى وبرسوله ﷺ والذين هاجروا من بلد الكفر إلى بلد الإيمان والذين آووا المهاجرين ونصروا الله تعالى ورسوله والذين جاهدوا في سبيل الله تعالى . ومن البيِّن تقديم المهاجرين في الذِّكر على الأنصار على عادة القرآن الكريم دليلاً على تقدم المهاجرين في الفضل .

إن هؤلاء المؤمنين حقاً لهم مغفرةٌ من الله تعالى لذنوبهم وسترٌ لعيوبهم ورزقٌ كريمٌ في الجنة التي فيها ما لا عين رأت ولا أذنٌ سمعت ولا خطر على قلب بشر .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعْدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

بعد أن تحدث السياق عن السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار يتحدث هنا عن الذين جاءوا من بعدهم من المؤمنين الذين هاجروا إلى المدينة المنورة قبل فتح مكة وجاهدوا مع السابقين من المهاجرين والأنصار جنباً إلى جنب . إن هؤلاء اللاحقين جزءٌ لا يتجزأ من السابقين ولهم ثوابهم العظيم ورزقهم الكريم .

كان حكم التوارث معمولاً به من أجل المؤاخاة التي عقدها النبي ﷺ بعد الهجرة بين المهاجرين والأنصار والتوارث بالحِلْف أو العَقْد الذي كان معمولاً به في الجاهلية وصدر الإسلام . لقد كان الرجل يعاقد الرجل في الجاهلية فيقول : دمي دمك وهدمي هدمك وترثني وأرثك وتطلب بي وأطلب بك[1] وقال رسول الله ﷺ : كلّ حِلْفٍ في الجاهلية أو

---

(١) تفسير الطبري ٥/٣٤ .

عقدٍ أدركه الإسلام فلا يزيده الإسلام إلا شدّة ، ولا عقد ولا حلف في الإسلام[1] ولما كان حكم التوارث بالمؤاخاة والهجرة والحلف والعقد قد شاء الله تعالى له أن ينسخ بالفرائض كما بينتها آيات الفرائض أو المواريث من سورة النساء[2] فإن هذه الآية الكريمة كذلك إحدى الآيات الكريمات الناسخات لأنواع التوارث في صدر الإسلام .

وإن من الآيات الكريمات الناسخات أيضاً لأنواع التوارث في صدر الإسلام الآية الكريمة السادسة من سورة الأحزاب في قوله تعالى : ﴿ وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله من المؤمنين والمهاجرين إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفاً . كان ذلك في الكتاب مسطوراً ﴾ وقوله تعالى من سورة النساء[3] : ﴿ ولكلٍّ جعلنا موالي مما ترك الوالدان والأقربون . والذين عقدت أيمانكم فآتوهم نصيبهم . إن الله كان على كل شيء شهيداً ﴾ .

إن آية سورة الأنفال تقرر أن أولي الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله تعالى وفي اللوح المحفوظ والسابق من القضاء[4] وأحقّ بأن يتوارثوا بسبب الدم والنسب ووشائج المصاهرة من أن يتوارثوا بالمؤاخاة والحلف وما إليهما . إن الله سبحانه وتعالى عليم بكل شيء ومن ذلك الأَوْلَى بأن يرث وبأن يأخذ حقه الذي فرضه الله تعالى له من الميراث .

---

(١) تفسير الطبري ٥/٣٤ .
(٢) الآيات ١١ ، ١٢ ، ١٧٦ .
(٣) الآية ٣٣ .
(٤) تفسير الطبري ١٠/٤١ .

ثانيـاً

سورة التوبة

حتى نهاية الجزء العاشر

ترتيبها ٩ — آياتها ١٢٩

سُورَةُ التَّوْبَةِ

بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١﴾
فَسِيحُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى
ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢﴾ وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ
إِلَى ٱلنَّاسِ يَوْمَ ٱلْحَجِّ ٱلْأَكْبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۙ
وَرَسُولُهُۥ ۚ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟
أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى ٱللَّهِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ
﴿٣﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ
شَيْـًٔا وَلَمْ يُظَٰهِرُوا۟ عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا۟ إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ
مُدَّتِهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤﴾ فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ
فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ
وَٱقْعُدُوا۟ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا۟ سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾
وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ
رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۖ فَمَا
ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ
﴿٧﴾ كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا۟ فِيكُمْ إِلًّا
وَلَا ذِمَّةً ۚ يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَٰسِقُونَ ﴿٨﴾ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟
عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا يَرْقُبُونَ
فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ
فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ وَإِن نَّكَثُوٓا۟
أَيْمَٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا۟ فِى دِينِكُمْ فَقَٰتِلُوٓا۟
أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ
﴿١٢﴾ أَلَا تُقَٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ وَهَمُّوا۟
بِإِخْرَاجِ ٱلرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ
أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ
عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ
غَيْظَ قُلُوبِهِمْ ۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ
﴿١٥﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟
مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ
وَلِيجَةً ۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ
أَن يَعْمُرُوا۟ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ شَٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِٱلْكُفْرِ ۚ
أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ وَفِى ٱلنَّارِ هُمْ خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ فَعَسَىٰٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ ﴿١٨﴾ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ
ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ
وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ
ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَهَاجَرُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾

يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا
نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ
عَظِيمٌ ﴿٢٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ
وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ
وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِن
كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ
تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ
فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى
ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ فِى مَوَاطِنَ
كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ ۙ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ
تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْأَرْضُ
بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ
عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا
وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٦﴾

ثُمَّ يَتُوبُ ٱللَّهُ مِنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ غَفُورٞ
رَّحِيمٞ ﴿٢٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ
نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَاۚ
وَإِنۡ خِفۡتُمۡ عَيۡلَةٗ فَسَوۡفَ يُغۡنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦٓ إِن
شَآءَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿٢٨﴾ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ
ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ
ٱلۡكِتَٰبَ حَتَّىٰ يُعۡطُواْ ٱلۡجِزۡيَةَ عَن يَدٖ وَهُمۡ صَٰغِرُونَ
﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ عُزَيۡرٌ ٱبۡنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى
ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ ٱللَّهِۖ ذَٰلِكَ قَوۡلُهُم بِأَفۡوَٰهِهِمۡۖ
يُضَٰهِـُٔونَ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَبۡلُۚ قَٰتَلَهُمُ
ٱللَّهُۚ أَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٣٠﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ
وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ
مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ
لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٣١﴾

يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ
أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ
كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْأَحْبَارِ وَٱلرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ
أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۗ
وَٱلَّذِينَ يَكْنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ
عَلَيْهَا فِى نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ
وَظُهُورُهُمْ ۖ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ
شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ
أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَٰتِلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا
يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ۚ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٌ فِى ٱلْكُفْرِ ۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
يُحِلُّونَهُۥ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامًا لِّيُوَاطِـُٔوا۟ عِدَّةَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ
فَيُحِلُّوا۟ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ ۚ زُيِّنَ لَهُمْ سُوٓءُ أَعْمَـٰلِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ
لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ ٱنفِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱثَّاقَلْتُمْ
إِلَى ٱلْأَرْضِ ۚ أَرَضِيتُم بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ
فَمَا مَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾
إِلَّا تَنفِرُوا۟ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْـًٔا ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ
يَقُولُ لِصَـٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ
ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا
وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ
وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ
فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾
لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ
عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ ۚ وَسَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَوِ ٱسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا
مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٤٢﴾
عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكَ ٱلَّذِينَ
صَدَقُوا۟ وَتَعْلَمَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلْمُتَّقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ
فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ ۞ وَلَوْ أَرَادُوا۟ ٱلْخُرُوجَ
لَأَعَدُّوا۟ لَهُۥ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ
وَقِيلَ ٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْقَٰعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم
مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ
ٱلْفِتْنَةَ ۖ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٧﴾

لَقَدِ ٱبْتَغَوُا۟ ٱلْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا۟ لَكَ ٱلْأُمُورَ حَتَّىٰ
جَآءَ ٱلْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّى وَلَا تَفْتِنِّىٓ ۚ أَلَا فِى ٱلْفِتْنَةِ
سَقَطُوا۟ ۗ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ
﴿٤٩﴾ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ
مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟
وَّهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ
ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ
﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ
نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ
أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ
أَنفِقُوا۟ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ ۖ إِنَّكُمْ كُنتُمْ
قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَٰتُهُمْ
إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ
إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ ﴿٥٤﴾

فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم
بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٥٥﴾
وَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ
قَوْمٌ يَفْرَقُونَ ﴿٥٦﴾ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ
أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا۟ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ
فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا
هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا۟ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ
وَرَسُولُهُۥ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ سَيُؤْتِينَا ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ
وَرَسُولُهُۥٓ إِنَّآ إِلَى ٱللَّهِ رَٰغِبُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ
لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ
وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۖ
فَرِيضَةً مِّنَ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمُ
ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ۚ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ
لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ ۚ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾

يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ
أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ
مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ
ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ
أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلِ ٱسْتَهْزِءُوٓا۟
إِنَّ ٱللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ
لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ
وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم
بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً
بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ
بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ
عَنِ ٱلْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ ۚ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ ۚ
إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٦٧﴾ وَعَدَ ٱللَّهُ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ
فِيهَا ۚ هِىَ حَسْبُهُمْ ۚ وَلَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٦٨﴾

كَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا فَٱسْتَمْتَعُوا۟ بِخَلَٰقِهِمْ فَٱسْتَمْتَعْتُم بِخَلَٰقِكُمْ
كَمَا ٱسْتَمْتَعَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَٰقِهِمْ وَخُضْتُمْ
كَٱلَّذِى خَاضُوٓا۟ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا
وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ
نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ
إِبْرَٰهِيمَ وَأَصْحَٰبِ مَدْيَنَ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ ۚ أَتَتْهُمْ
رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن
كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ
أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ
وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ ٱللَّهُ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ
وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ
وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾ يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ
مَا قَالُوا۟ وَلَقَدْ قَالُوا۟ كَلِمَةَ ٱلْكُفْرِ وَكَفَرُوا۟ بَعْدَ إِسْلَٰمِهِمْ
وَهَمُّوا۟ بِمَا لَمْ يَنَالُوا۟ ۚ وَمَا نَقَمُوٓا۟ إِلَّآ أَنْ أَغْنَىٰهُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ
مِن فَضْلِهِۦ ۚ فَإِن يَتُوبُوا۟ يَكُ خَيْرًا لَّهُمْ ۖ وَإِن يَتَوَلَّوْا۟ يُعَذِّبْهُمُ
ٱللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَا لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ
مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾ ۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ
ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٧٥﴾
فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُم مِّن فَضْلِهِۦ بَخِلُوا۟ بِهِۦ وَتَوَلَّوا۟ وَّهُم مُّعْرِضُونَ
﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ بِمَآ أَخْلَفُوا۟
ٱللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا۟ يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟
أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ عَلَّٰمُ
ٱلْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾ ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ
ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا
جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ ۙ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

أَسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً
فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ۗ
وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ
بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ
وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ
أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ
مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن
تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا ۖ إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا
مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ
عَلَىٰ قَبْرِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ
﴿٨٤﴾ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم
بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا
أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ
أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ
جَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ ۖ
وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَآءَ
ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟
ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿٩٠﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ
مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾
وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ
مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ
حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى
ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟
مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾

بين يدي التفسير

((تبرُّؤٌ من الله ورسوله إلى المشركين الذين عاهدهم المسلمون حتى يؤمنوا . ومن استجارك منهم فأجره))
الآيات (١ ــ ٦)

يبين السياق أن سورة التوبة براءة من الله تعالى ومن رسوله ﷺ إلى الذين عاهد المسلمون من المشركين . إن على المشركين أن يسيروا في الأرض آمنين مطمئنين أربعة أشهر هي أشهر التسيير الأربعة التي تبدأ سنة تسع من الهجرة من يوم النحر فتغطي عشرين من ذي الحجة والمحرم وصفر وربيع الأول وعشراً من شهر ربيع الآخر ، وعلى المشركين أن يعلموا أنهم غير فائتي الله تعالى وأنه جل وعلا مخزي الكافرين . وهذه الأشهر الأربعة لمن كان له عهد مدّته أقلّ من أربعة أشهر ومن كان له عهد مطلق . أما من كان له عهد محدّد فوق أربعة أشهر فيلزم الوفاء له . ويبين السياق كذلك أن سورة التوبة أذانٌ من الله تعالى ورسوله ﷺ وإعلام إلى الناس يوم الحجّ الأكبر يوم النحر أن الله سبحانه وتعالى بريء من المشركين وأن رسوله ﷺ بريءٌ منهم أيضاً . إن المشركين إن تابوا عن الشرك فهو خيرٌ لهم وإن أصروا على الشرك فليعلموا أنهم غير فائتيه جل وعلا وأن العذاب الأليم ينتظرهم . وهذه الآية الكريمة تبين الشروط التي ينبغي أن يلتزم بها المشركون الذين لهم عهد محدد فوق أربعة أشهر : ﴿ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم لم ينقصوكم شيئاً ولم يظاهروا عليكم أحداً فأتموا إليهم عهدهم إلى مدتهم . إن الله يحب المتّقين ﴾ فإذا انقضت أشهر التسيير الأربعة وأصرّ المشركون على توليهم فيجب على المسلمين أن يقتلوهم حيث وجدوهم ويأخذوهم أسرى ويحصروهم في معاقلهم وحصونهم ويقعدوا لهم كل موطن يرصدونهم فيه ويرقبونهم ويتعقّبونهم . فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فعلى المسلمين أن يخلّوا سبيلهم إن الله غفور لمن تاب رحيم إذ هدى العباد إلى معالم دينهم . وإذا حدث أن استجار بك أيها المؤمن واحد من المشركين فأجره وأمّنه حتى يسمع القرآن الكريم وتلك هي مسئوليتك أيها المؤمن ، فإن اعتنق الإسلام فذلك منتهى المأمول ، وإن أصر على كفره فإن عليك أيها المؤمن أن تبلغه مأمنه وتوصله إلى بلده . إن المشركين لا يعلمون دين الإسلام على حقيقته ولا يعلمون أن توحيد الله تعالى وإفراده جل وعلا بالعبادة هو الهدف الذي خلقهم الله تعالى من أجله . إن واجب المسلم أن يعلّم المشرك كل ذلك .

« لا يرقب المشركون في المؤمنين قرابةً ولا عهداً فإن لم يتوبوا فقاتلوهم كي يميز الخبيث منكم من الطيب »
الآيات (٧ ــ ١٦)

من المشركين من أصرّ على شركه ونقضه للعهود والمواثيق . وإن السياق ليسأل في إنكار : كيف يكون للمشركين عهدٌ وميثاق عند الله تعالى وعند رسوله ﷺ بعد انقضاء أشهر التسيير الأربعة للمشركين الذين عاهدتم من قريش وحلفائها عند المسجد الحرام في صلح الحديبية سنة ستٍّ من الهجرة . إنهم طالما استقاموا للمؤمنين ووفوا بالعهد فاستقيموا لهم أيها المؤمنون واتقوا الله تعالى إن الله يحب المتقين . ويؤكد السياق المعنى السابق فيسأل في إنكار كذلك : كيف يكون للمشركين عهد وهم إن ينتصروا عليكم ــ لا سمح الله ــ لا يرقبوا فيكم قرابةً ولا عهداً وهم يرضونكم بأطراف ألسنتهم وتأبى قلوبهم تلك العذوبة في القول دليلاً على بغضهم لكم وأكثرهم فاسقون خارجون عن الصراط المستقيم . إنهم استعاضوا بآيات الله تعالى ثمناً قليلاً وحطاماً رخيصاً فكفروا وصدّوا عن سبيل الله تعالى فما أسوأ أعمالهم ، وإنهم هم المعتدون . ويفتح السياق باب التوبة على مصراعيه للقوم فإن هم تابوا وأقاموا الصلاة المفروضة وآتوا الزكاة لمستحقيها فهم إخوانكم في الدين . هكذا يفصّل الله تعالى الآيات لقوم يعلمون فنحن إذن بصدد ثناء على العلماء ، وذلك في مقابل التعريض مِنْ قَبْلُ بالمشركين الذين يستجيرون بالمؤمنين فيَسْمعهم المؤمنون القرآن الكريم كي يتعلموا بعد جهل . فإن أصرّ المشركون على شركهم وصدّهم عن سبيل الله تعالى ونقض العهود والطعن في دين الإسلام فإن على المؤمنين أن يقاتلوا رءوس الكفر الذين لا عهود لهم لعلهم ينتهون عن الشرك وعن نقض العهود . إن على المؤمنين أن يقاتلوا المشركين الذين نقضوا العهود وهموا بإخراج الرسول ﷺ من مكة المكرمة وبدأوا بقتال المسلمين قبل الهجرة وبعد الهجرة في بدر على جهة الخصوص . وإن السياق ينكر على المؤمنين أن يخشوا المشركين ويبيِّن أن الله تعالى أحق أن يخشوه إن كانوا مؤمنين حقاً . إن المؤمنين حينما يقاتلون المشركين فإن الله تعالى سيعذب المشركين بأيدي المؤمنين ويخزي المشركين بالهزيمة والأسر ، وينصر المؤمنين عليهم ، ويشفي صدور المؤمنين مما بها من غيظ على المشركين . ومع كل هذه العقوبات فإن السياق يفتح باب التوبة على مصراعيه لمن يتوب إلى الله تعالى توبةً نصوحاً ويبين أن الله العليم الحكيم

يتوب على من يشاء . ولما كان في قتال المشركين مشقة على المؤمنين فإن السياق يسألهم في أسلوب الاستفهام الإنكاري : بل أحسبتم وظننتم أن تُتْركوا دون امتحان وتمحيص ولما يعلم الله تعالى علم ظهورٍ الذين جاهدوا في سبيل الله تعالى منكم وصادقي الإيمان الذين لم يتخذوا بطانةً من الكافرين . إنهم بعكس المنافقين الذين يتخذون الكافرين بطانتهم ، وإنما وليّ المؤمنين الله ورسوله والمؤمنون ، وإن الله سبحانه وتعالى خبير بما نعمل جميعاً .

((ما ينبغي للمشركين أن يعمروا مساجد الله إنما يعمرها المؤمنون ، ولا تستوي سقاية الحاج وعمارة المسجد الحرام بالإيمان والجهاد في سبيل الله)) الآيات (١٧ ــ ٢٢)

المشركون الذين ينقضون العهود يفخرون على المؤمنين بأنهم يبنون المسجد الحرام ! وإن القرآن ليبين بصريح العبارة أن هؤلاء المشركين ، الذين يشهدون على أنفسهم بالكفر وذلك بقولهم إنهم مشركون حينما يُسْألون عن دينهم ، ما ينبغي لهم أن يبنوا مساجد الله تعالى التي أذن الله تعالى أن ترفع ويُذْكَرَ فيها اسمه جل وعلا وحده لا شريك له . إن أولئك المشركين قد بطلت أعمالهم الصالحة ومنها عمارة المسجد الحرام لأنهم أرادوا حسن الأحدوثة فقط وقد كان لهم ذلك لذا فإنهم يوم القيامة في النار خالدون . ويقصر السياق بناء المساجد على من آمن بالله تعالى ربًّا وبيوم القيامة فعمل له بأن أقام الصلاة وآتى الزكاة وما أمره الله تعالى ورسوله الكريم به ولم يخش إلا الله تعالى وحده لا شريك له . إن أولئك الذين تلك صفاتهم هم المهتدون حقاً بفضل الله تعالى ومنّه . وإذا كان المشركون يعمرون المساجد مادياً فإن المؤمنين يعمرون المساجد مادياً ومعنوياً ويقومون بالكثير من الأعمال الصالحة الجليلة الخطر . وإذا كان المشركون يسقون الحجيج فإن المؤمنين يؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر ويجاهدون في سبيل الله تعالى . ومن ثم يسأل السياق المشركين أتجعلون سقاية الحاج وعمارة المسجد كمن قام بتلك الأعمال الصالحة الجليلة الخطر ! إن الكافرين ظالمون والله تعالى لا يهديهم . ويبين السياق بصريح اللفظ أن المؤمنين أعظم درجةً عند الله تعالى وبأنهم الفائزون حقاً ، لذا فإن ربهم جل وعلا يبشّرهم برحمة منه ورضوان وبالخلود في جنات النعيم المقيم وبالأجر العظيم عند الله تعالى .

« لا تتخذوا الكافرين أولياء وجاهدوا في سبيل الله الذي نصركم في مواطن كثيرة وثبّت رسوله في حنينٍ ونصركم وتوبوا إلى الله »
الآيات (٢٣ ــ ٢٧)

لما كان الإيمان والحق على النقيض من الكفر والباطل وكان المؤمنون إخوة فإن السياق ينهي الذين آمنوا عن اتّخاذ الكافرين أولياء ولو كانوا آباءهم أو إخوانهم فإنهم الظالمون إن فعلوا ذلك . وهم مطالبون بالجهاد في سبيل الله تعالى ، وعليهم أن يكون حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ أكبر من حبهم آباءهم وأبناءهم وإخوانهم وأزواجهم وعشيرتهم وأموالاً اكتسبوها وتجارة يخشون بوارها ومساكن يرضونها . لقد راعنا ترتيب هذه الحبات في عقد الآية الكريمة بحيث إن الأَوْلَى بالتقديم والأهمّ هو الذي يتقدم . إن هذه الأمور إن كان حُبُّها ــ لا سمح الله ــ أكبر من حب الله تعالى وحب رسوله ﷺ والجهاد في سبيله جل وعلا فإن على هؤلاء ، الذين يوصفون بأنهم فاسقون ، أن يتربصوا وينتظروا حتى يأتي الله تعالى بأمره بأن يستبدل بهم قوماً غيرهم لن يكونوا أمثالهم . ويمنّ السياق على المؤمنين الذين نصرهم الله تعالى في مواطن كثيرة ويذكّرهم بالخطأ الذي ارتكبوه يوم حنين حينما أعجبتهم كثرتهم التي لم تغن عنهم شيئاً فولوا الأعداء أدبارهم منهزمين لأنهم لم يتوكلوا على الله تعالى حق التوكل ثم أنزل الله تعالى طمأنينته على رسوله وعلى المؤمنين وأنزل ملائكة لم يروها وعذّب الكافرين جزاءً وفاقاً . ويفتح السياق باب التوبة النصوح على مصراعيه . وإن الله سبحانه وتعالى الغفور الرحيم يتوب على من يشاء ، وإن الله تعالى العزيز القدير يعذب من يشاء . لا راد لقضائه ولا معقّب لحكمه جل وعلا .

« لا يقرب المشركون المسجد الحرام وقاتلوا مشركي أهل الكتاب الذين يريدون القضاء على دين الإسلام الذي سيظهره على الدين كله »
الآيات (٢٨ ــ ٣٣)

بعث الله تعالى محمداً ﷺ بدين التوحيد ، ومن أركان الإسلام الصلاة والحج إلى بيت الله تعالى الحرام . ولما كان مشركو العرب يحجون ويعتمرون وكانت الكلمة بعد الهجرة

بفضل الله تعالى للمؤمنين فقد بيَّن رب العزة أن المشركين نجسٌ وقذر ، باطناً وظاهراً . إن على المشركين ألا يقربوا المسجد الحرام وألا يدنوا منه بعد سنة تسع من الهجرة التي نزلت فيها هذه السورة الكريمة ، والتي لم يحج فيها النبي ﷺ بسبب أداء المشركين الحج تلك السنة . ولما كان الحج مصدراً من مصادر الرزق لسكان الحرم فإن رب العزة يبشرهم بأنه جل وعلا سوف يغنيهم من فضله إن شاء وهو جل وعلا العليم الحكيم . ولما كانت جزيرة العرب مهد الإسلام لذا لم يُقْبل من سكانها إلا الإسلام أو السيف ، ولما كانت دعوة الإسلام عالمية منذ فجرها وكان أهل الكتاب قد أشركوا مع الله تعالى غيره وناصبُوا الإسلام العداء منذ فجره فقد أمر رب العزة في محكم كتابه المؤمنين بأن يقاتلوا الذين لا يؤمنون بالله تعالى ربًّا ولا باليوم الآخر ولا يحرِّمون ما حرم الله تعالى ورسوله ولا يدينون دين الحق ولا يوحِّدون الله تعالى ولا يتَّبعون خاتم الأنبياء وأشرف المرسلين محمد بن عبد الله ﷺ من الذين أوتوا الكتاب من اليهود والنصارى حتى يعطوا الجزية يداً بيد وهم صاغرون أذلة . إن رب العزة كتب على أهل الكتاب الصغار بأن يدفعوا الجزية يداً بيد حثاً لهم على العمل للتخلص من هذا الصغار بالدخول في دين الإسلام . إن اليهود قالت عزيرٌ ابن الله ، وإن النصارى قالت المسيح ابن الله ، قالوا ذلك بأفواههم دون أي دليل فأشبهوا الكافرين السابقين ولعنهم الله بسبب انصرافهم عن الحق . إن اليهود والنصارى اتَّخذوا على التوالي علماءهم وعبَّادهم أرباباً من دون الله تعالى في تحليل ما حرم الله وتحريم ما أحل الله ، واتخذوا المسيح إلهاً معبوداً وهم إنما أمروا ليعبدوا الله تعالى وحده لا شريك له سبحانه عما يشركون . وهم يريدون أن يطفئوا بأفواههم العَفِنَةِ نور الله تعالى ويقضوا بأكاذيبهم على دين الإسلام . ويأبى الله تعالى إلا أن يتمّ نوره ولو كره الكافرون ، ويأبى الله تعالى إلا أن يظهر دين الإسلام الذي بعث به رسوله محمداً ﷺ على كل دين ولو كره المشركون .

« عذاب آكلي أموال الناس بالباطل والصَّادِّين عن سبيل الله ومانعي الزكاة ومؤخِّري الأشهر الحرم والأمر بقتال جميع المشركين » الآيات (٣٤ ــ ٣٧)

إن اليهود والنصارى إذا كانوا قد اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله تعالى فأطاعوهم في تحليل ما حرم الله تعالى وتحريم ما أحل الله تعالى فإن هؤلاء الأحبار والرهبان

يأكل كثير منهم أموال الناس بالباطل ويصد عن سبيل الله تعالى . وإذا كان الأحبار والرهبان شديدي الحرص على المال للدرجة التي يحصلون معها على المال بأي وسيلة خسيسة والتي يصدون معها عن سبيل الله تعالى من أجل هذا المال فإن من رجال الدنيا من لا يدفع زكاة ماله ولا ينفق منه في سبيل الله تعالى . إن لهؤلاء عذاباً أليماً يوم القيامة حينما يحمى على تلك الكنوز في نار جهنم فتكوى بها جباههم أشرف أجزاء الوجوه ، التي تعتبر بدورها أشرف أجزاء الجسد ، وفي إهانتها وإيلامها إهانة لسائر الجسد وإيلام . يلي ذلك كي الجُنوب التي تلي بدورها الجباه شرفاً وإيلاماً ، يلي ذلك كي الظهور التي تلي بدورها الجُنوب شرفاً وإيلاماً . وفي أثناء الكي يقال لهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا جزاء ما كنتم تكنزون وعذاب ما كنتم تمنعون زكاته من مال . وكما عبث الأحبار والرهبان بالدِّين فأكلوا أموال الناس بالباطل وصدوا عن سبيل الله تعالى ، وكما منع الأغنياء الزكاة التي هي حق لله تعالى ، عبث مشركو العرب بالأشهر الأربعة الحرم بالتقديم والتأخير من أجل مصالح شخصية رخيصة كأن يطول عليهم وقت الانتظار للإغارة والسلب والنهب فيحلوا شهر محرم ويحرموا شهر صفر في عام ويحرموا ما أحل الله تعالى في عام آخر . إن السياق يبين أن عدة الشهور عند الله تعالى اثنا عشر شهراً منذ خلق جل وعلا السماوات والأرض منها أربعة أشهر حرم هي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب . إن هذا هو الدين القيم والصراط المستقيم فعلى المسلمين ألا يظلموا أنفسهم وبخاصة في هذه الأشهر الأربعة الحرم ، وإن السياق يأمر المؤمنين كافة بأن يقاتلوا المشركين كافة الذين يعبثون بالأشهر الحرم ، والذين يزدادون كفراً إلى كفرهم بسبب هذا العبث بالأشهر الحرم والذين لا يهديهم الله تعالى سبيلاً .

« إن لم تنفروا للجهاد خفافاً وثقالاً يستبدل الله غيركم وإن لم تنصروا رسوله فالله ناصره كما نصره في الهجرة »
الآيات (٣٨ ــ ٤١)

بما أن المؤمنين قد أُمروا جميعاً بأن يقاتلوا المشركين جميعاً وكان منهم من تقاعس عن الجهاد في سبيل الله تعالى فإن السياق يسأل في أسلوب الإنكار : أي شيء جرى لكم أيها المؤمنون وما الذي دهاكم حتى إنكم إذا قيل لكم هبوا للجهاد في سبيل الله تعالى تثاقلتم إلى الأرض التي تشدكم إلى طينها ومتعها الرخيصة ، أرضيتم بالحياة الدنيا بدلاً من الآخرة ونعيمها

الكبير المقيم ! إنكم إن لم تنفروا للجهاد في سبيل الله تعالى فإن الله تعالى سيعذبكم عذاباً أليماً ويستبدل بكم قوماً غيركم لن يكونوا مثلكم واعلموا أنكم لن تضروا الله تعالى القدير على كل شيء . وإنكم إن لم تنصروا رسولي محمداً ﷺ فقد نصرته في حال أشق ووضع أصعب إذ أخرجه كفار مكة من بيته وأرغموه على الهجرة وكان ثاني اثنين إذ هما في غار ثور إذ يقول المصطفى ﷺ لصاحبه أبي بكر لا تحزن على ما مضى وعلى ما نحن فيه إن الله تعالى معنا ، فأنزل الله تعالى سكينته عليه وطمأنينته ، وأيده بجنود لم تروها ، وقوّاه بالملائكة ، وجعل عز وجل كلمة الذين كفروا السُّفلى . وكلمة الله تعالى وهي شهادة ألا إله إلا الله محمد رسول الله العليا . والله عزيز في ملكه حكيم في صنعه . أما وقد استجاب المؤمنون لنداء الجهاد في سبيل الله تعالى فإنهم يؤمرون بأن ينفروا للجهاد في سبيل الله تعالى في كل الأحوال والأعمار والأزمنة والأمكنة وأن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله تعالى . إنّ ذلك خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون .

« عفو الله تعالى عن النبي ﷺ إذْنه للمنافقين في القعود عن الجهاد وبعض صفات المؤمنين وبعض صفات المنافقين »
الآيات (٤٢ ــ ٤٩)

أمر الله تعالى المؤمنين بالنَّفر للجهاد فاستجابوا وتقاعس المنافقون . وإن السياق ليبين أن المنافقين إنما تقاعسوا عن الجهاد بسبب بُعْد المسافة ومشقة الطريق وهم يهلكون أنفسهم بالحلف الكاذب بأنهم لو استطاعوا الخروج لخرجوا ولكنهم لم يستطيعوا . ولما كان المصطفى ﷺ قد أذن بالقعود لبعض المنافقين المصمِّمين على القعود فإن رب العزة يعفو عن النبي ﷺ هذا الإذن للمنافقين بالقعود ويعاتب جل وعلا حبيبه المصطفى ﷺ الذي أذن لهم بالقعود وبذلك لم يتبين له عليه الصلاة والسلام الصادقون في الأعذار والكاذبون فيها . ويقرر السياق أن الذين يؤمنون بالله تعالى وباليوم الآخر لا يستأذنونه عليه الصلاة والسلام في القعود عن الجهاد والله سبحانه وتعالى عليم بالمتقين . إنما يستأذنه عليه الصلاة والسلام الذين لا يؤمنون بالله تعالى ولا باليوم الآخر وامتلأت قلوبهم بالشكوك وهم في ريبهم يترددون وفي شكوكهم يتحيرون . إن أولئك المنافقين لو أرادوا الخروج لأعدوا له العدة ولكنهم كرهوا الخروج وكره الله تعالى خروجهم فثقّلهم وقيل اقعدوا مع القاعدين من الرجال ذوي الأعذار .

إن المنافقين لو خرجوا في المؤمنين وانتشروا في أثنائهم وتغلغلوا في أعماقهم ما زادوهم إلا فساداً وضلالاً ولأسرعوا في أثنائهم بالدّسّ والوقيعة والوشاية والتثبيط ابتغاء فتنة المسلمين عن دينهم وبثّ الفرقة بينهم . وفي المؤمنين بعض الذين يسمعون لأقوال المنافقين ويتجاوبون مع إشاعات أولئك الظالمين . إن أولئك المنافقين عريقون في الإيذاء فقد ابتغوا للمصطفى ﷺ الفتنة من قبل وصرف المؤمنين عن دينهم والصد عن سبيل الله تعالى حتى جاء الحق بنصر الله تعالى نبيه وبالفتح المبين ، رغماً عن المنافقين . ومن هؤلاء المنافقين من يقول للمصطفى ﷺ أئذن لي في القعود عن الجهاد في سبيل الله تعالى ولا تفتّني بنساء بني الأصفر فإني لا صبر لي لو رأيت النساء الروميات . لقد أراد هؤلاء المنافقون الفرار من فتنة مفتعلة فتورطوا في فتنة حقيقية أكبر وداهية أعظم ألا وهي فتنة النفاق التي انتهوا بسببها إلى الدرك الأسفل من نار جهنم المحيطة بهم .

« الحسنة تصيب المؤمنين المتوكلين على الله تسوء المنافقين المبغضين لهم ، والمصيبة نصيب المؤمنين تفرحهم ، وفرح المؤمنين بما يصيبهم في سبيل الله ، وعدم قبول نفقة المنافقين »
الآيات (٥٠ ــ ٥٧)

امتداداً لحرب المنافقين النفسية ضد المؤمنين هم حينما تصيب المؤمنين حسنة يستاءون ، وحينما تصيبهم مصيبة يشمتون ويقولون قد أخذنا حذرنا وينصرفون وهم فرحون بالسلامة . ويلقّن السياق المؤمنين الجواب الذي يردون به على المنافقين بأن ما أصابهم إنما هو ما كتبه الله تعالى عليهم وهم المتوكلون عليه جل وعلا دائماً وأبداً ، وبأن المنافقين إنما يتربصون بالمؤمنين وينتظرون إحدى الحسنيين ، النصر المبين أو الشهادة ، وهما منتهى ما يناله المجاهدون في سبيل الله تعالى أحياءً وأمواتاً . وفي مقابل الحسنيين اللتين يتربص المنافقون بالمؤمنين إحداهما ، يتربص المؤمنون بالمنافقين عذاب الله تعالى أو العذاب بأيدي المؤمنين . ولما كان المنافقون ينفقون رياءً فإن السياق يلقّن المؤمنين بأن يقولوا للمنافقين إن الله سبحانه وتعالى لن يتقبل منهم نفقاتهم ، وانظر إلى مجيء لفظ نفقات بالذات وليس صدقات مثلاً دليلاً على أنهم يعتبرون ما ينفقون في سبيل الله تعالى امتداداً للنفقات المضطرين لبذلها . أما السبب في عدم قبول نفقاتهم فهو فسقهم وكفرهم بالله تعالى وبرسوله ﷺ ولا يأتون الصلاة حسًّا وهيئةً إلا

وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم كارهون مضطرون . ولما كان رب العزة يستدرج المنافقين بالأموال والبنين بسبب ما يعانون في جمع المال من نصب وفي الأولاد من مصائب فإن السياق ينهى عن الغفلة عن هذه الحكمة الجليلة والإعجاب بتلك الأموال والأولاد في حق أولئك المنافقين الكافرين الذين يدّعون أنهم مؤمنون ويحلفون أنهم جزءٌ لا يتجزأ من المؤمنين بينما ترفض قلوبهم ذلك . إن بغضهم للمؤمنين يكاد يحملهم على الفرار منهم وكأنهم منهزمون في معركة ويبحثون عن النجاة في الحصون أو في الغيران أو في أنفاق الأرض .

« حرص المنافقين على الصدقات ، ومصارف الصدقات »
الآيات (٥٨ ــ ٦٠)

لما كان المنافقون إنما يأتون الصلاة وهم كسالى ويؤتون الزكاة وهم كارهون فذلك دليل على حرصهم على حطام الدنيا وفي مقدمة ذلك المال . ويتجلى نفاق القوم حينما توزع الصدقات على مستحقيها فيتبين أنهم أحرص الناس على مال ﴿ فإن أُعْطوا منها رضُوا وإن لم يُعْطَوْا منها إذا هم يسخطون ﴾ ونستطيع أن نفهم من مجيء « إذا » عنصر المفاجأة وكأن المنافقين الذين يدَّعون الإيمان يفجأون المؤمنين بسخطهم لعدم نيلهم حظّهم من تلك الصدقات ، وبعدم فطنتهم للمغزى البعيد الذي أراده ﷺ من إعطاء بعض الناس تأليفاً لقلوبهم وعدم إعطاء بعضهم الآخر اطمئناناً لإيمانهم . لقد كان الأَوْلَى بالمنافقين أن يرضوا بما قسم الله تعالى لهم وأن يقولوا إن الله تعالى كافينا وسيعطينا جل وعلا من فضله ورسوله ﷺ . أما وقد اضطربت مقاييس بعض الناس تجاه الصدقات فإن السياق يبين مصارفها ويعيّن فئاتها مقدماً الأَوْلَى فالأَوْلَى بسبب شدة الحاجة وكثرة الوجود .

« من مظاهر إيذاء المنافقين النبي ﷺ وكذبهم
وحذرهم من فضح ما في قلوبهم وكفرُهم »
الآيات (٦١ ــ ٦٦)

إذا كان بعض المنافقين يعيب المصطفى ﷺ في توزيع الصدقات فإن بعضاً آخر منهم يؤذي النبي ﷺ بأنه أذنٌ يصدّق كل ما يقال له . قل يا محمد وقل أيها المؤمن لأولئك

المنافقين : إن محمد بن عبد الله ﷺ أذن خيرٍ لكم لا أذن شر يؤمن بالله تعالى ويؤمن للمؤمنين ويطمئن لهم ورحمة للذين آمنوا منكم وليس للمنافقين الذين لهم عذاب أليم بسبب إيذائهم له عليه الصلاة والسلام . والعجيب في أمر هؤلاء المنافقين أنهم يجتهدون في إرضاء المؤمنين ولا يرضون الله تعالى ورسوله ﷺ . وينكر السياق على المنافقين عدم علمهم بأن نار جهنم والخزي العظيم فيها من نصيب الذين يشاقون الله ورسوله ، والعجيب في أمر هؤلاء المنافقين أنهم يخشون أن ينزل على الرسول ﷺ قرآن كريم يفضحهم ومع ذلك هم يستمرون في استهزائهم . وحينما فضحتهم آي الذكر الحكيم قالوا للمصطفى ﷺ إنهم إنما كانوا يخوضون ويلعبون . ويكون الجواب المخزي للقوم الذي ينكر عليهم استهزاءهم بالله تعالى وبآياته البينات وبرسوله الكريم ﷺ ، ويقرّر كفرهم وكفر من مات منهم قبل أن يتوب . وهكذا نجد أنفسنا أمام باب التوبة المفتوح على مصراعيه ، وقد عرفنا أن فتح باب التوبة من سمات سورة التوبة الكريمة .

« من صفات المنافقين وعقابهم ، ومن صفات المؤمنين وثوابهم »
الآيات (٦٧ ــ ٧٣)

بعد أن تحدث السياق عن بعض من صفات المنافقين على التفصيل ، وكلها سيّىء ، يتحدث عن بعض آخر من الصفات على الإجمال كما يتحدث عن المؤمنين الذين يقابلونهم في الصفات . إن المنافقين كأبعاض الشيء الواحد ويأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف ويقبضون أيديهم عن كل خير . وبما أنهم نسوا الله تعالى وتركوه فقد تركهم جل وعلا وحرمهم من لطفه ورحمته ، بسبب فسقهم . وقد وعدهم الله تعالى هم والكفار نار جهنم وعذابها المقيم . إن هؤلاء المنافقين والكافرين في كفرهم وعتوّهم مثل الذين من قبلهم والذين كانوا أشد منهم قوة وأكثر مالاً وولداً . إن الجميع جعل الدنيا منتهى همّه وإن الجميع خاسر بسبب بطلان عمله كقوم نوح وعاد وثمود وكقوم إبراهيم وأصحاب مدين وقوم لوط الذين انقلبت بهم قراهم رأساً على عقب بسبب إتيانهم الذكران وكفرهم وصدهم عن سبيل الله تعالى . إن كل الكافرين أخذهم الله تعالى أخذ عزيز مقتدر عادل .

ويقابل المؤمنون المنافقين في الصفات . إنهم أولياء بعض ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويتعاونون على البر والتقوى ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله . إن

رحمة الله تعالى قريب من هؤلاء المحسنين في الدنيا والآخرة ، وإن الله تعالى العزيز الحكيم يعدهم بالنعيم المقيم في جنات النعيم وبرضوان الله تعالى الأكبر من كل نعيم . ولما كان الحق بحاجة إلى القوة التي يدحر بها الباطل فقد أمر السياق المصطفى ﷺ بأن يجاهد الكافرين والمنافقين بالسيف والسنان ، القلم واللسان . إن هذا هو خزيهم في الدنيا أما خزيهم في الآخرة ففي النار وبئس القرار .

« المنافقون يحلفون كذباً ، وينقضون عهودهم ، ويسخرون من المؤمنين وعقابهم »
الآيات (٧٤ ــ ٨٠)

يعود السياق إلى ذكر بعض أعمال المنافقين المناوئة للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ . إن المنافقين يقولون كلمة الكفر بالطعن في الدين وعلى الرسول ﷺ ويحلفون بالله تعالى كذباً أنهم ما قالوا بينما هو قد كفروا بقولهم ، وهم قد هموا بقتل النبي ﷺ والفتك به في غزوة تبوك ولكن الله تعالى عصم رسوله ﷺ من الناس . أما الشيء الذي كرهه المنافقون فيه عليه الصلاة والسلام فهو أنهم بسببه عليه الصلاة والسلام قد أغناهم جل وعلا من فضله فعليهم أن يتوبوا وإلا كان الأخذ شديداً والعذاب أليماً . ومن المنافقين من عاهد الله تعالى لئن آتاه جل وعلا من فضله ليعطينّ الزكاة وليكوننّ من الصالحين . وكما قابل السابقون الإحسان بالإساءة قابل هؤلاء الإحسان بالإساءة فمنعوا الزكاة فزادهم الله تعالى الذي يعلم سرهم ونجواهم علّام الغيوب نفاقاً إلى نفاقهم . ولا يكتفي المنافقون بمنع الزكاة إنما يتجاوزون إلى لمز المتصدقين وعيبهم فمن تصدق بالكثير قالوا مرائي . ومن تصدق بالقليل سخروا منه وقالوا إن الله غني عن صدقته . ولما كان في سخرية المنافقين اعتداءٌ على عباد الله تعالى بل وعلى الله تعالى الذي يعلم وحده لا شريك له النوايا فقد بادلهم الله تعالى بسخريتهم بالمؤمنين عقاباً عاجلاً عبّر عنه باسم الذنب الذي ارتكبوه ، وعذاباً آجلاً لأنهم بسبب كفرهم وفسقهم وعدم توبتهم إلى الله تعالى لن يقبل جل وعلا أي استغفار في حقهم ولو كان الاستغفار لهم سبعين مرة من المصطفى ﷺ .

« فَرَحُ المنافقين بالقعود عن الجهاد ونهيهم عن الخروج معه عليه الصلاة والسلام ونهيه عن الصلاة عليهم والإعجاب بأموالهم وأولادهم » الآيات (٨١ ــ ٨٥)

مما يتعلق بتربص المنافقين الدوائر بالمؤمنين وفرحهم بكل سوء ينال المؤمنين فرحهم بقعودهم عن الجهاد في سبيل الله تعالى مخالفين لأمره عليه الصلاة والسلام وهديه ، وكرههم أن يجاهدوا بأموالهم في سبيل الله تعالى وحثّهم المنافقين الآخرين أمثالهم ومحاولتهم تثبيط المؤمنين وذلك في القول : ﴿ لا تنفروا في الحر ﴾ ولما كان المنافقون في فرارهم من حر الدنيا قد تورطوا في غضب الله تعالى المفضي إلى حر الآخرة فقد جاء في الرد عليهم القول : ﴿ قل نار جهنم أشد حرًّا لو كانوا يفقهون ﴾ ولما كان متاع الدنيا قليلاً وقصيراً وعذاب الآخرة كثيراً وطويلاً فقد جاء في تهديد القوم القول : ﴿ فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاءً بما كانوا يكسبون ﴾ وبسبب قعود المنافقين عن الجهاد في تبوك يأمر رب العزة حبيبه المصطفى ﷺ بألا يسمح للمنافقين بالخروج معه للجهاد والقتال مستقبلاً بحال من الأحوال لأنهم رضوا عن قعودهم أول مرة فليقعدوا بعد ذلك مع القاعدين من ذوي الأعذار . وينهى رب العزة حبيبه المصطفى ﷺ عن الصلاة على أي منافق وعن القيام على قبره لدفنٍ أو زيارة وعن الإعجاب بأموالهم وأولادهم لأن الله سبحانه وتعالى يريد أن يعذبهم بها في الدنيا بالتعب في جمعها وبالمصائب في شأنها إلى أن يلقوا الله تعالى وتخرج أرواحهم من أجسادهم فاسقين كافرين .

« أغنياء المنافقين يقعدون عن الجهاد في حين يجاهد الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنون ، وقبول أعذار الصادقين » الآيات (٨٦ ــ ٩٢)

ومن عجائب المنافقين أن الأغنياء منهم ، حينما تنزل سورة من القرآن الكريم تأمر بالإيمان وبالجهاد ، يستأذنون المصطفى ﷺ في القعود عن الجهاد ، ويرضون ويسعدون بالقعود مع النساء المتخلفات في البيوت عن الرجال المرتحلين الخارجين للغزو . وقد زاد الله

تعالى قلوبهم عمًى إلى عماها فطبع عليها بطابع النفاق الذي لا يفارقها ولا يسمح لشيء من نور الإيمان أن يتسلل إليها لذا فهم لا يفقهون شيئاً ولا يفهمون قولاً . وفي مقابل رضا المنافقين وسعادتهم بالقعود مع النساء عن الجهاد هنالك بطل الأبطال وسيد الرجال محمد بن عبد الله ﷺ والمؤمنون معه الذين جاهدوا بأموالهم وأنفسهم فلهم عند الله تعالى الخيرات وهم المفلحون الذين يخلدون في جنات النعيم وينالون الفوز العظيم برضا الله تعالى عنهم الذي لا سخط بعده . وإذا كان المعتذرون من الأعراب ذوو الأعذار الصادقة قد جاءوا إلى النبي ﷺ ليؤذن لهم في القعود عن الجهاد فإن المنافقين الذين كذبوا الله ورسوله بادّعاء الإيمان قد قعدوا عن المجيء إليه عليه الصلاة والسلام للاعتذار وطلب الإذن بالقعود . إن لهؤلاء عذاباً أليماً .

ويرفع السياق الحرج عن أربع فئات على جهة التحديد بسبب صدق أعذارهم الدائمة أو الطارئة لأنهم صادقو الإيمان . وقد قدم السياق دائماً الفئة الأشد عذراً . وهذه الفئات هي فئة الضعفاء الذين استحكم منهم الضعف ، وفئة المرضى مرضاً لازماً أو طارئاً ، وفئة الذين لا يجدون ما ينفقون للجهاد في سبيل الله تعالى وهؤلاء قد يزول سبب تخلفهم إذا جاهد غيرهم بماله وزودهم بالمال والعتاد ، وفئة الذين لا يجدون ما ينفقون من مالهم الخاص ومن مال الآخرين . ما أجمل التعبير القرآني الكريم وأرقه في آخر آيات الجزء عن هذا الفريق الأخير . إن التعبير يملأ كل قلب خشوعاً وكل عين دموعاً . قال تعالى : ﴿ ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قُلْتَ لا أجد ما أحملكم عليهم تولَّوْا وأعينهم تفيض من الدّمع حَزَناً ألَّا يجدوا ما ينفقون ﴾ .